

العوامل التي تعوق النمو السوي للإنسان

الفصل الخامس

العوامل التى تعوق

النمو السوى للإنسان

أولاً: العوامل التى تعوق النمو السوى للإنسان فى مرحلة الحمل

يتعرض الجنين فى بطن أمه للكثير من المؤثرات السلبية التى قد تشكل خطراً على مسار نموه طول حياته.

أثبتت دراسات علم الأجنة وعلم النفس أن عوامل الوراثة ذات أثر كبير على نمو الإنسان فى مرحلة الحمل، وكذلك العوامل البيئية المحيطة بالجنين وهو فى الرحم. ومن هذه العوامل ما هو إيجابى وما هو سلبى. ونركز هنا على العوامل ذات الآثار السلبية على النمو والتى تسبب مشكلات عديدة على مسار النمو الإنسانى منذ التكوين.

١- شذوذ الصبغيات:

خلال الأسابيع الأولى للحمل يتم انقسام الخلايا. ويحدث فى بعض الحالات شذوذ فى توزيع الكروموزومات حيث يظهر كروموزوم زائد فى إحدى الخلايا، فينتج عن ذلك نوع من الاضطراب فى تكوين الجنين يسبب ضعفاً عقلياً عند الطفل ويصاحب هذا الضعف العقلى ملامح جسمية واضحة تشبه ملامح الجنس المنغولى، ولذلك يطلق على الطفل (الطفل المنغولى). ويسمى هذا النوع من الضعف العقلى بالمنغولية Mongolism.

أما أسباب شذوذ الصبغيات أو الكروموزومات فإنها متعددة وليست واحدة ولا محددة منها على سبيل المثال وليس الحصر:

- كبر سن الأم عند الحمل (٤٠ - ٤٥ سنة).
- تعرض الأم للإشعاع فى الأسابيع الأولى من الحمل، أو تعاطيها بعض الأدوية المسكنة والمضادة للالتهابات.
- إصابة الأم بمرض السكر فى بداية الحمل.
- الاضطرابات الرحمية عند الأم فى بداية الحمل.

٢- العامل الريزيس: أو RH:

عندما يختلف دم الأم عن دم الأب من حيث العامل RH فيكون سالباً عند أحدهما وموجباً عند الآخر، ويرث الجنين أحد أبويه فيختلف دمه عن دم الأم فيؤدى ذلك إلى تكوين أجسام مضادة تدمر خلايا الدم عند الجنين كما يضطرب توزيع الأوكسجين مما ينتج عنه تلف المخ فيولد الطفل ضعيف العقل.

٣- الأمراض الوراثية

تنتقل بعض الأمراض بالوراثة إلى الجنين من أحد الوالدين أو من كلاهما مثل السكر ينتقل بالوراثة مما يؤدى إلى معاناة الإنسان مدى حياته من هذا المرض حيث يظل يلزمه منذ مولده.

٤- غذاء الأم الحامل:

تدل البحوث على أن نقص غذاء الأم وخاصة البروتين والفيتامينات يؤدى إلى إصابة الجنين بالهزال وفقر الدم، وقد يؤدى إلى تأثر الجهاز العصبى المركزى أو الضعف العقلى، والقابلية للتعرض للأمراض.

٥- مرض الأم:

يتأثر الجنين تأثراً بالغاً إذا تعرضت الأم وهى حامل لبعض الأمراض مثل: مرض الزهري، والحصبة الألمانية، أو أى عدوى فيروسية خلال الثلاثة أشهر الأولى للحمل.

فمثلاً؛ يؤدى إصابة الأم الحامل بمرض الزهري إلى إصابة الجنين بالضعف العقلى أو العمى أو الصمم،، والإصابة بالحصبة الألمانية قد تؤدى إلى إصابة الجنين ببعض أمراض القلب، أو الضعف العقلى، أو الصمم أو البكم.

٦- الإشعاع:

تدل الدراسات على أن تعرض الأم الحامل إلى الإشعاع وخاصة الأشعة السينية XRAY يؤدي إلى إصابة الجنين باضطرابات في الجهاز العصبي الذي ينتج عنه إصابته بالضعف العقلي، أو بالتشوه الجسمي.

٧- العقاقير الطبية:

إن تناول الأم الحامل لبعض العقاقير الطبية يؤدي إلى إحداث تغيرات كيميائية في دم الجنين مما يؤثر على نموه تأثيرًا سلبيًا. كذلك فإن تناول الأم للمسكرات والخمور أثناء الحمل له تأثير سيء على نمو الجنين.

٨- تسمم الأم الحامل:

إذا أصيبت الأم الحامل بتسمم في الدم أو بالتزف لمدة طويلة؛ فإن هذا يؤدي إلى نتائج خطيرة في نمو الجنين. فقد يؤدي إلى إتلاف الجهاز العصبي المركزي مما يسبب للجنين مشكلات في النمو الحركي أو العقلي أو تعرضه للخلل العصبي أو الإصابة بالصرع.

٩- الولادة العسرة:

في حالات الولادة العسرة والاستخدام الخاطئ لبعض أدوات التوليد، وقلّة الأوكسجين يؤدي إلى تلف المخ عند الجنين والإصابة بالضعف العقلي أو نقص في التأذر الحركي، أو نقص في الانتباه وتشتته وعدم التركيز وفرط الحركة والحركات العشوائية الزائدة، وأحيانًا نقص شديد في الحركة.

ثانياً: العوامل التى تعوق النمو السوى للإنسان فى مرحلة الرضاعة (من الميلاد . الفطام)

من أهم المشكلات التى يتعرض لها الوليد عند الولادة أن يحدث تعثر فى حالة الوضع فيستعان بالآلات فى إخراج الطفل مما قد ينتج عنه كسر فى أحد العظام، أو الضغط أكثر من اللازم على الجمجمة فيتأثر المخ أو الحبل الشوكى، وهذا كله يضر بنمو الطفل بعد ذلك فقد يصاب بضعف فى القدرات العقلية أو فى بعض الحواس أو فى أعضاء الحركة.

وعندما تتم عملية الولادة بسلام ويخرج الطفل سليماً؛ فهو ينتقل من بيئة الرحم حيث درجة الحرارة ثابتة، ليتعرض بعد الولادة إلى درجات متغيرة من الحرارة والبرودة، فقد يؤدى ذلك على إصابته ببعض المشكلات فى الجهاز التنفسى.

كما أن الوليد بانفصاله عن رحم الأم حيث كان جزءاً من الأم ينال كل شئ يحتاج إليه دون أى معاناة ودون أن يطلبه؛ فإنه يمر بتغيير فجائى فى حياته حيث يستقل عن أمه ويبدأ فى التنفس ولأول مرة يمر الهواء فى أحباله الصوتية وجهازه التنفس كله، ويبدأ فى ذلك فى شكل صيحة الوليد والتى تصدر تلقائياً بعد خروج المولود مباشرة للحياة، وتعتبر لحظة الميلاد من أقسى الخبرات النفسية التى يجتازها الإنسان فى أول حياته. ويطلق عليها بعض علماء النفس بأنها «صدمة الميلاد ويعتبرونها باكورة «القلق الأولى».

ويحاط الوليد بمؤثرات بيئية عديدة منها؛ ما هو مرئى وظاهر للعيان مثل الغذاء أو (الرضاعة)، وخصائص البيئة الطبيعية من حرارة وبرودة، أو التعرض للعدوى والفيروسات وغيرها وفيها ما هو غير مرئى وغير ظاهر مثل: الأفكار والمشاعر

والاتجاهات والرغبات والآمال والتوقعات الموجودة لدى الوالدين والأسرة. فإذا كانت المؤثرات إيجابية ومواتية فإن الوليد يشعر بها ويظهر عليه في شكل النمو السوى. أما إذا كانت غير مواتية كأن يكون الطفل غير مرغوب فيه، أو الأسرة مضطربة وتكثر بها المشاحنات والمشاجرات، فإن الوليد لا يلبث أن يشعر بهذه الانفعالات والمشاعر السلبية وتظهر عليه استجابات مرضية، ويسوء نموه الانفعالي والصحي أيضًا. حيث يلاحظ عليه التوتر والقلق أثناء نموه وفي طريقة رضاعته بل وفي طريقة تعبيره عن حاجاته البيولوجية والنفسية.

فنجده يبكى بل ويصرخ دون أسباب واضحة ولا معلومة وقد يتقيأ بلا سبب عضوى واضح. وقد يرفض الغذاء رغم جوعه، إنها الانفعالات والمشاعر السلبية التي انتقلت إليه عبر من يتعاملون معه من الأسرة.

إن الوليد يأتى إلى هذا العالم لا حول له ولا قوة لكن لديه كل الأجهزة والإمكانات على أتم استعداد للعمل في الوقت المحدد لكل منها حسب احتياجات الطفل للنمو في مراحله المختلفة.

ويشعر الطفل الرضيع بمن حوله لكنه لا يستطيع إحداث أى تغيير في بيئته لإشباع حاجاته في النمو إلا عن طريق الأم وعلى هذا فإن الأمومة لازمة لبقائه. وعندما يحرم الوليد من أمه بسبب الوفاة أثناء الولادة أو بعدها بقليل؛ فإنه يتعرض لمشكلات كثيرة منها النفسى والجسمى. أما المشكلات النفسية فقد تلازمه مدى حياته حيث يشعر بالذنب وكأنه كان سبباً في وفاة والدته، أو أن أفراد الأسرة يوحون إليه بذلك. وأما المشكلات الجسمية حيث يحرم من الرضاعة الطبيعية ومن حنان الأم ورعايتها له وهو في المهد مما يعرضه لوعكات صحية كثيرة في مرحلة الرضاعة وما بعدها أيضًا من مراحل الطفولة.

وفي مرحلة الرضاعة يكون الطفل معرض للإصابة بالعديد من الأمراض يُؤثر بعضها على مسار نموه تأثيرًا شديدًا قد يودى بحياته أو يترك به عاهة مستديمة مدى حياته مثل شلل الأطفال، والجدرى، والحصبة، والتيتانوس... وغيرها.

لذا يتم تحصين الأطفال من هذه الأمراض بالتطعيمات اللازمة والتي يبدأ بعضها من الشهر الثاني لميلاد الطفل ويُعاد إعطاؤها للطفل كجرعات منشطة حتى سن المدرسة (٦ سنوات).

وتنتهى مرحلة الرضاعة بالفطام. وفطام الطفل إذا تم فى الوقت المناسب وبطريقة متدرجة فإنه يمر بسلام دون مشكلات.. أما إذا حدث الفطام فجأة وبعنف أو صاحبه صدمة انفعالية مثل دهن الشدى بمادة مرة، فإن الخبرة تكون مؤلمة، وقد تؤثر تأثيرًا ضارًا على نمو شخصية الطفل فيما بعد. وقد يصاحب ذلك بعض السلوكيات غير المرغوبة مثل العض وظهور الكراهية والرغبة فى العدوان.

كما قد يصاحب الفطام بعض الاضطرابات الانفعالية بسبب انتقال الطفل من عادات التغذية المعتمدة على السوائل إلى عادات جديدة تعتمد على الجوامد، ومن حضن الأم وقت الطعام إلى الأكل بعيدًا عنها.

وبرغم المشكلات المترتبة على الفطام فإنه ضرورى لتقليل اعتماد الطفل على أمه، وتوجيهه نحو الاستقلال والاعتماد على النفس. وتؤكد نتائج الدراسات فى هذا المجال على أن فترة الرضاعة الطويلة تعتبر أمرًا ضارًا على شخصية الطفل بعد ذلك إذ أن هذا الطفل يبقى معتمدًا على أمه بدرجة زائدة مما يؤثر تأثيرًا سيئًا على نموه الانفعالى.

لذلك فإن الفطام يعتبر من المشكلات التى تواجه نمو الطفل فى هذه المرحلة ويترتب عليه العديد من الآثار بعضها إيجابى والآخر سلبى وذلك بسبب طريقة الفطام والأسلوب المتبع والظروف المحيطة بالطفل، ولا بد أن يتم فى الوقت المناسب وبطريقة صحيحة حفاظًا على صحة الطفل النفسية والجسمية والانفعالية.

ثالثاً: العوامل التى تعوق النمو السوى للإنسان فى مرحلة الطفولة

- أ - الطفولة المبكرة.
- ب - الطفولة الوسطى.
- ج - الطفولة المتأخرة.
- د - مشكلات تعوق النمو السوى فى مرحلة الطفولة بوجه عام.

أ. العوامل التى تعوق النمو فى مرحلة الطفولة المبكرة

يتعرض الطفل فى هذه المرحلة للكثير من العوامل التى تؤثر على نموه تأثيراً سلبياً قد يستمر لسنوات طويلة من عمر الطفل أو مدى حياته.

فالنمو الجسمى يتأثر بالحالة الصحية للطفل وبتغذيته. فالطفل الذى يعانى من المرض أو نقص الغذاء يتعطل نموه. كذلك تؤثر الحالة النفسية السيئة فى مسار النمو الجسمى للطفل تأثيراً بالغاً.

وقد تتعرض الأسنان اللبنية عند الطفل للتسوس بسبب عدم الاهتمام بنظافة الأسنان فيلجأ الوالدان إلى خلعها اعتقاداً منهما أن ذلك لصالح الطفل حيث ستنمو لديه أسنان جديدة فيما بعد، لكن فى الواقع أن خلع الأسنان اللبنية قبل الأوان يترك المجال للأسنان المجاورة فتنمو مشوهة.

وأحياناً يتعرض الطفل للحوادث مثل حوادث السيارات أو السقوط من أعلى مما يفقده أحد أطرافه أو يتعرض للكسر المضاعف. ومن أخطر حوادث سقوط الطفل هو إصابة الدماغ عندما يرتطم بشيء صلب وتصل الإصابة للمخ فتتلف بعض الخلايا العصبية بالمخ وتسبب للطفل إعاقة عقلية مدى الحياة. ومن المعروف

علميًا وطبييًا أن تلف خلايا المخ قبل اكتمال النمو يؤدي بالضرورة إلى تأخر في نمو المخ كعضو، وأن خلايا المخ لم يجد العلم (حتى الآن) (*) بديلًا لها.

أما النمو الحركي للطفل فإنه يتأثر بنفس العوامل التي يتأثر بها النمو الجسمي، ويزيد على ذلك اضطرابات الشخصية مثل الخجل والانطواء فإنهما يعوقان حركة الطفل ونشاطه، أما إذا كان الطفل عدوانيًا فإن ذلك يزيد من نشاطه حركته التي يكون أغلبها عشوائيًا وغير مقبول من الطفل وضارًا على صحته الجسمية والنفسية.

وتؤثر ظروف التربية والتنشئة الخاطئة على الصحة النفسية للطفل تأثيرًا سيئًا يؤدي إلى ظهور مشكلات سلوكية عديدة لدى الطفل بالإضافة لانحراف في شخصيته يعاني منه في مراهقته وفي شبابه أيضًا.

وفيما يلي عدد من الأساليب الخاطئة في التربية وآثارها السلبية على الصحة النفسية للطفل:

الأساليب الخاطئة	آثارها السلبية
• الإهمال ونقص الرعاية ونقص الحب.	الشعور بالوحدة - السلبية والخضوع - نقص الشعور بالأمن - التمرد والشعور بالعداء العصبية - عدم الثقة بالنفس وسوء التوافق
• الحماية الزائدة أو التدليل الزائد.	الأنانية - قصور في النضج الاجتماعي والنفسى - نقص الاتزان الانفعالي - نقص القدرة على مواجهة الواقع - عدم القدرة على مواجهة الضغوط. نقص الشعور بالمسؤولية -

(*) توجد بحوث حديثة جدًا تحاول استخدام الخلايا الجذعية في تجديد بعض خلايا المخ التالفة لكن هذه البحوث لا زالت في دور التجريب على الفئران وبعض الحيوانات، ونتائجها لا زالت محدودة لم تصل بعد لدرجة التعميم «ويخلق ما لا تعلمون...».

آثارها السلبية	الأساليب الخاطئة
نقص القدرة على التحمل. والاعتماد على الآخرين.	
عدم الثقة بالنفس - العدوانية أو الخضوع والاستسلام - عدم القدرة على المبادأة - الكبت - نقص التوافق - وعدم الشعور بالكفاءة.	• التسلط والسيطرة وكثرة العقاب.
اتهام الذات - الشعور بالذنب - الصراع النفسي - الجمود - التوتر - السلبية - الخوف - التردد - نقص الثبات الانفعالي - الإحباط - الشعور بالنقص.	• المغالاة في اتباع نظم جامدة للحياة اليومية وفرض توقعات مثالية للسلوك أو ارتفاع مستوى التطلع.
عدم القدرة على اتخاذ أى قرار - اضطراب الانفعالات - التوتر - السلوك العدائي - التردد - تضارب قيم الطفل ونقص في تماسكها.	• النقد اللاذع (الهدام) أمام الآخرين وعدم التسامح والقسوة.

ويتأثر النمو الاجتماعى للطفل تأثراً سلبياً إذا حُرم الطفل من الحب والحنان داخل أسرته إما لرفض الأسرة له، أو لإصابة الأم باضطراب انفعالى أو بمرض خطير يعجزها عن التفاعل مع الطفل ورعايته، أو لموتها وعدم وجود أم بديلة.

وفي بعض الحالات يودع الأطفال في مؤسسات لرعايتهم نظراً لفقدانهم لمن يعولهم، أو لظروف قاسية تمر بها الأسرة أو لعدم وجود أسر لهؤلاء الأطفال كما في حالة الأطفال اللقطاء.

وتؤكد الدراسات على أن الأطفال المودعون بالمؤسسات ينقصهم القدرة على التفاعل الاجتماعى، ويصابون بكثير من الاضطرابات الانفعالية، حيث ينعدم

لديهم التبادل الانفعالى الموجب بينهم وبين الآخرين، فهم محرومون انفعاليا واجتماعياً.

وتشير البحوث إلى أن بعض هؤلاء الاطفال المودعين بالمؤسسات يتكون لديهم اتجاهات سلبية نحو الآخرين والمجتمع، مما يجعلهم عرضة للاستغلال السيء من قِبَل الخارجين عن القانون.

كما تؤكد نتائج الدراسات على أن الأم العصبية وكثرة الشجار بين الأبوين تؤدي إلى إصابة الأبناء بالعصبية وإلى اضطراب العلاقة بين الإخوة في الأسرة الواحدة، وإلى العداء والكرهية بينهم ونقص الثقة بالنفس وبالأخرين والخوف من الانفصال بين الأبوين ومن ثم الخوف من المستقبل مما يصيب الأطفال بالتوتر والقلق.

وتدل الدراسات الكلينيكية على أن الأسرة المضطربة تنتج أطفالاً مضطربين، وأن الكثير من اضطرابات الأطفال ما هو إلا مظهر من مظاهر اضطراب الأسر المتمثل في الظروف غير المناسبة وإلى الأخطاء في التربية والأساليب الخاطئة في التعامل داخل الأسر، والتنشئة الاجتماعية السلبية بصفة عامة.

سبق القول بأن الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة يكون خيالياً بحيث يتصور بعض الأشياء التي لم تحدث في الواقع وهذا نوع من النمو العقلى في هذه المرحلة (التخيل والتصور).

وعندما يواجه هذا المظهر النمائي العقلى بأساليب خاطئة من الأهل وخاصة الأبوين مثل العقاب البدنى أو اتهام الطفل بالكذب فإن هذه الأساليب الخاطئة تؤدي إلى آثار وخيمة على النمو العقلى للطفل وكذلك على نموه الانفعالى. وذلك لأنه كما سبق أن ذكرنا أن الطفل في الحقيقة لا يكذب لكنه يتصور ويتخيل وهو لا يدرك بعد الفرق بين الواقع والخيال.

وأحياناً أخرى يتعود الطفل من الجد أو الجدة على حكايات خيالية ليست واقعية وقد يكون بعضها مخيفاً، فإن الطفل يصدق كل ما يقال له ويحسب تلك الحكايات

واقعية وقد يضيف إليها من خياله ويتمثل شخصياتها المرعبة، وللأسف يؤدي ذلك إلى اضطراب في انفعالاته وفي نموه، بالإضافة إلى صعوبة انتقاله من الخيال إلى الواقع في المرحلة التالية من نموه، وقد يصاب بالخوف والتوتر والقلق ويحتمل أن تظل تلك المشكلات الانفعالية ملازمة له مدة طويلة من حياته.

عندما يولد طفل جديد في الأسرة، فإن طفل الثالثة أو الرابعة يشعر بالتهديد لمكانته في الأسرة وعند والديه، وتصيبه الغيرة الشديدة، وخاصة إذا لم تنبه الأم لمشاعره فتعطى كل اهتمامها للمولود، وتخصه بكل الحب والرعاية، وذلك يشير مشاعر الغيرة لدى الطفل وكلها مشاعر سلبية تظهر في إصدار سلوكيات انتقامية فقد يعتدى على المولود أو على ما يخصه من أشياء، وعندما يفشل الطفل في الانتقام من المولود الجديد ويفشل أيضًا في استعادة اهتمام أمه وحبها له؛ فإنه يلجأ إلى سلوكيات نكوصية مثل التبول اللا إرادي، ومص الإبهام والكلام الطفلي، وكأنه يسلك كما يسلك الوليد لعله يسترعى الانتباه ويستعيد بعض ما فقد من اهتمام وحب الوالدين.

ب. العوامل التي تعوق النمو السوى فى مرحلة الطفولة الوسطى

تشهد هذه المرحلة انحصارًا للعوامل المعيقة للنمو إلا ما كان قد أصيب به الطفل فى مراحل سابقة ولا زال الأثر السىء ممتدًا إلى هذه المرحلة. ولكن توجد بعض العوامل الطارئة التى يمكن أن تواجه الطفل وتؤثر سلبًا على نموه مثل:

- التنشئة الاجتماعية الخاطئة سواء فى المنزل أو فى المدرسة.
- الحوادث المفجعة الطارئة مثل حوادث السيارات أو السقوط وإصابة المخ. فيصاب بمشكلات عديدة فى معظم جوانب النمو.
- الأمراض الخطيرة أو الإصابة بالفيروسات وعدم توافر العلاج اللازم فى الوقت المناسب ويتمكن المرض من الطفل مدة طويلة ويؤثر على نموه سلبًا.
- رفاق السوء. عندما يتعرف الطفل على أحد الرفاق فيزج به فى جماعات غير سوية من الصبية الذين لم يتلقوا تربية أسرية كافية، أو كانوا من الأحداث الجانحين. وإذا لم تنبه الأسرة لهذه العلاقات فإن الطفل ينجر فى هذه الجماعات ويعتنق أفكارها ويسلك سلوكها، ويصبح بعيدًا عن السواء الاجتماعى والنفسى. ويتعطل دراسيًا ويتأخر أخلاقياً واجتماعياً، وتضطرب انفعالاته وقيمه واتجاهاته.
- كثرة مشاهدة نماذج العدوان لدى الكبار سواء كان ذلك حقيقياً فى البيئة المحيطة بالطفل أو كان فى التلفاز أو فى دور السينما. فإن ذلك يؤدى إلى السلوك العدوانى لدى الطفل فى هذه المرحلة، وتضطرب سلوكيات الطفل وانفعالاته.

ج. العوامل التي تعوق النمو في مرحلة الطفولة المتأخرة

يتأثر نمو الطفل في هذه المرحلة بجميع العوامل السابق ذكرها في المرحلة السابقة (الطفولة الوسطى) ويضاف إليها عاملين هامين وهما:

- التعصب.

- الجناح.

- أما التعصب؛ فالطفل في هذه السن يميل للتعصب لفريق مدرسته أو لجماعة الرفاق، أو شلة النادى أو فريق الكرة الذى يشجعه. وإذا لم يوجه هذا الاتجاه الانفعالى (التعصب) توجيهًا سليماً يقوم على الموضوعية والمعرفة والتفكير البناء، فإنه يؤثر سلباً على النمو الانفعالى والاجتماعى للطفل، وقد يؤدي إلى تأخره دراسياً أيضاً لأن التعصب عبارة عن اتجاه نفسى مشحون انفعالياً نحو أو ضد جماعة أو فكرة. فقد تكون هذه الجماعة غير سوية، وقد تكون الفكرة غير سليمة، لكن انفعال التعصب يطمث على العقل والبصيرة فلا يرى غير هذا الذى تعصب له أو ضده.

وتؤكد الدراسات على أن الشخص المتعصب يصاب بالقلق والتوتر والشعور بعدم الأمن.

- وأما الجناح؛ فهو انحراف الطفل وهروبه من المدرسة مع رفقة سيئة فيفشل دراسياً ويزداد هروباً ويلجأ إلى السرقة والتخريب والتشرد ويترك البيت أيضاً.

وينتج جناح الأطفال في هذه السن عن الضغوط الشديدة داخل الأسرة، وكذلك المدرسة وعدم الاهتمام والرعاية، مع الإهمال الشديد للطفل أو القسوة والتسلط والعنف من المربين، وشعور الطفل بالرفض وعدم التقبل.

د. مشكلات تعوق النمو السوى فى مرحلة الطفولة بوجه عام

إلى جانب ما تم عرضه على الصفحات السابقة من عوامل تعوق النمو السوى فى كل مرحلة من مراحل النمو منذ الحمل إلى قبيل البلوغ؛ فإن هناك مشكلات أخرى يمكن أن يتعرض لها الطفل منذ ولادته وحتى بداية البلوغ وتؤثر تأثيرًا سلبيًا على مسار نموه طيلة مراحل الطفولة، وقد يمتد أثر بعضها طول العمر.

ونشير فيما يلى لأهم هذه المشكلات:

١ - الضعف العقلى:

وقد يولد به الطفل أو يصاب به بعد الولادة وأثناء فترة النمو وقبل البلوغ.

ومشكلة الضعف العقلى يستمر أثرها مدى الحياة. ويظهر أثر الضعف العقلى على معظم جوانب النمو. ويحتاج الأطفال المصابون به إلى برامج علاجية وتدريبية^(*) فى جميع جوانب النمو؛ الجسمى (علاجى وحركى)، والعقلى (للتخاطب وتعلم الكلام والتعبير) والتدريب على مهارات العناية بالنفس وشئون الحياة اليومية الشخصية ثم يعد ذلك برامج تدريبية مهنية وتعليمية كل حسب قدراته وإمكاناته.

(*) انظر للمؤلفة: الإعاقة العقلية [التعرف عليها وعلاجها باستخدام برامج التدريب للأطفال المعاقين عقليًا]، القاهرة، عالم الكتب.

٢- الحركة المفرطة أو النشاط الزائد:

إن مشكلة النشاط الزائد(*) من المشكلات السلوكية، حيث يمارس الأطفال حركات عشوائية كثيرة، ولا يستطيعون التركيز فيتأثر نموهم المعرفي، ويمضون وقتهم في حركات عديمة الجدوى فتتدهور حالتهم الصحية، كما أنهم يزعجون من حولهم فينفر منهم الآخرون فيتدهور نموهم الاجتماعي والانفعالي أيضاً بسبب عزلتهم وابتعاد الآخرين عنهم. ويحتاج هؤلاء الأطفال إلى برامج علاجية تدريبية وتعليمية لتعديل سلوكهم وتعديل مسار نموهم إلى السواء.

٣- التوحد:

وهو اضطراب(**) يصيب الطفل في مراحل عمره الأولى وتظهر أعراضه خلال السنوات الثلاث الأولى من عمر الطفل ويؤثر على جميع مظاهر النمو وجوانبه لفترة طويلة من العمر. ويحتاج الأطفال المصابون به إلى برامج خاصة لتنمية قدراتهم، وبرامج علاجية طبية وسلوكية وبيئية (العلاج البيئي)، وحركية (العلاج الحركي) وحسية (العلاج الحسي).

وكلما كان العلاج مبكراً ومتكاملاً كانت النتائج طيبة على مسار نمو الطفل. وتحتاج أسرة الطفل المصاب بالتوحد إلى إرشاد نفسي وتربوي لتقبل الطفل والتعامل الصحيح مع الحالة.

٤- اضطراب الكلام:

وهو مشكلة عيوب الكلام وتظهر بين الأطفال في المرحلة الابتدائية. وتظهر على شكل تأتأة - أفأأة - ابدال - تلعثم - تلجلج. وتؤثر على التحصيل الدراسي للطفل. ويمكن علاجها عن طريق جلسات التخاطب لتصحيح النطق وتنتهي المشكلة بعد

(*) انظر للمؤلفة: علاج النشاط الزائد لدى الأطفال باستخدام برامج تعديل السلوك، القاهرة، دار النهضة.

(**) أنظر للمؤلفة: اضطراب التوحد «الأوتيزم» [أعراضه - أسبابه وطرق علاجه] مع برامج تدريبية وعلاجية لتنمية قدرات الأطفال المصابين به، القاهرة، عالم الكتب.

العلاج التخاطبى. إلا إذا كان بالطفل مشكلة عضوية فإن الأمر يحتاج إلى علاج طبي أو تدخل جراحى تصحيحى لبعض الحالات.

٥- التبول اللاإرادى:

وهو مشكلة تحدث لبعض الأطفال بعد سن الثالثة وبعد أن يكون قد استطاع التحكم فى تبوله. وقد يظهر أثناء النوم أو فى اليقظة، وقد تستمر مع الطفل حتى سن السابعة أو الثامنة. وقد ترجع المشكلة لأسباب عضوية أو نفسية. وإذا لم يكن لدى الطفل مشكلة عضوية فإن العلاج النفسى يكون ناجحًا فى إنهاء هذه المشكلة فى وقت قصير.

رابعاً : العوامل التى تعوق النمو السوى للإنسان فى مرحلة المراهقة

أ - المراهقة المبكرة.

ب - المراهقة الوسطى.

ج - المراهقة المتأخرة.

د - مشكلات تعوق النمو السوى فى مرحلة المراهقة بوجه عام.

أ . العوامل التى تعوق النمو السوى للإنسان فى مرحلة المراهقة المبكرة

يُجمع علماء النفس على أن مرحلة المراهقة من المراحل الحرجة فى حياة الإنسان، وذلك بسبب الطفرة فى النمو الفسيولوجى، وكذلك التغيرات الشديدة فى ملامح الجسم ومظاهره كلها، وتأثير هذه التغيرات على جوانب النمو الأخرى للفرد.

ويتعرض الإنسان فى هذه المرحلة لكثير من العوامل السلبية والمشكلات والصراعات تؤثر على سوائه النفسى والانفعالى والسلوكى أيضاً. وفيما يلى توضيح ذلك.

- يعانى المراهق من التوتر الشديد ويصيبه القلق بسبب تلك التغيرات الفسيولوجية التى تطرأ عليه لأول مرة فى حياته.
- يؤدى هذا القلق والتوتر إلى سوء التوافق الشخصى والاجتماعى، حيث تسوء علاقاته الاجتماعية وخاصة مع الكبار، ويصيبه الإحباط بسبب صعوبات التوافق.
- يعيش المراهق المبكر حالة من التناقضات والصراعات بين مشاعره ورغباته

من ناحية، وبين قيم المجتمع ومبادئ الدين من ناحية أخرى. وبين ما هو جائز وما هو غير جائز.

ونتيجة لذلك يشعر المراهق بالشقاء ويظهر هذا على جوانب نموه كما يلي:

- اضطراب السلوك: مثل نقص التركيز، والتقلب السلوكي. وقصور النشاط العقلي (الأداء العقلي) والجسمي أيضاً، واضطراب في الكلام، والاندفاع وأحياناً العدوان.

- اضطرابات إنفعالية: الانفجارات الانفعالية وسرعة الاستثارة.

- المشاكسة: وتكون معظمها على مستوى الأسرة.

- رفض النصح والتوجيه، والرغبة في مغايرة المعايير الاجتماعية والنظم والأعراف في اللبس والكلام والسلوك بصفة عامة.

- الوحدة: وتتضمن الشعور بالإهمال والرفض من قبل الأسرة والكبار.

- نقص الإنجاز ونقص الدافعية والإهمال في شئون الأسرة والمدرسة.

- لوم الآخرين وإلقاء التبعية عليهم في فشله ونقص انجازه، وأنهم السبب في شقائه.

- التهرب أو الهروب من الواقع والاستغراق في أحلام اليقظة.

قد يصل الأمر ببعض المراهقين إلى الهروب الحقيقي فيتركون المنزل والمدرسة ويضلون الطريق مما يشعرهم بالضيق أكثر، وقد يلجأ البعض إلى محاولة الانتحار أو الانتحار فعلاً.

وتوضح بحوث كثير من العلماء أن ما يصادفه الفرد من عواصف انفعالية، وتوترات شديدة إنما يرجع إلى عوامل الإحباط والصراع التي يتعرض لها في حياته في الأسرة والمدرسة، وفي المجتمع بصفة عامة، هذا بالإضافة إلى توتراته الذاتية وقلقه الناشئ من تلك التغيرات الجوهرية الفسيولوجية والجسمية والتي تعتريه في بداية بلوغه، مما يؤدي إلى زيادة قلقه وتوتره، وتشاؤمه.

وتشير نتائج الدراسات إلى أن بداية المراهقة فيها الكثير من التذبذب والاضطراب والأخطاء والصراعات.

وترجع الصراعات والاضطرابات في هذه المرحلة إلى ما يلي:

- الصراع بين السعى لأن يكبر ويتحمل المسؤولية، وأن يظل طفلاً معتمداً على الوالدين.
- الصراع بين حاجته للاستقلال، وحاجته إلى الدعم والمساندة من الأهل خاصة الوالدين.
- الصراع بين السعى للحرية الشخصية وتحقيق الذات، وبين الضغوط الاجتماعية المتمثلة في المعايير والقيم.
- الصراع بين الأنا الأعلى أو (الضمير) وبين المثيرات الخارجية.
- الصراع بين تحقيق الدوافع وإشباع الحاجات الشخصية وبين مطالب الواقع الخارجى وضوابط المجتمع.

ومن المشكلات الطارئة في هذه المرحلة ارتباك النمو الحركى للمراهق بسبب طفرة الطول التى تجعل حركات المراهق غير متوافقة، وغير متسقة، فيكثر تعثره واصطدامه بالأثاث وسقوط الأشياء من يديه، وشعوره بالحرج، وعندما يضاف إلى ذلك شعور المراهق بتغير صورة الجسم لديه، ونقص خبرته باستخدام أعضاء جسمه بأبعاده الجديدة فيزيد ارتبাকে، وتتعثر حركاته ويقل اتساقها.

ومما يزيد من المشكلات الإنفعالية للمراهق، توقعات الأسرة بأنه يتحمل مسئوليات اجتماعية وأسرية بسبب التغيرات الجسمية الواضحة، ويتظنون منه أن يسلك كما يسلك الكبار. وفي الواقع هو ما يزال متأرجحاً بين الصغار والكبار. وفي نفس الوقت لا يريد أن يعامله الآخرون كطفل ولا يقبل ذلك لكنه لا يستطيع تحمل مسئوليات الكبار.

ب. العوامل التي تعوق النمو السوى للإنسان فى مرحلة المراهقة الوسطى

يواجه المراهقون فى هذه السن كثيرًا من المشكلات الاجتماعية مثل: عدم الاعتراف بشأنه، وعدم التقدير الاجتماعى.

ويضطر بعض المراهقين إلى محاولة إثبات الذات عن طريق سلوكيات فجأة وغير سوية سعيًا إلى الشهرة والظهور. ويلجأ آخرون إلى مخالقة التعليمات والأوامر وحتى الآراء التى يعتنقها الكبار على طريقة «خالف تُعرف».

وقد يقومون ببعض أنماط السلوك الممنوع الخارج على القانون والعرف الاجتماعى من باب السعى نحو تحقيق الذات، وإظهار قدره على الاستقلال والمعارضة لأوامر الكبار.

ويلاحظ على المراهقين فى هذه المرحلة الميل إلى التمرد، ومقاومة السلطة، وأنهم شديدى الانتقاد للوالدين ويميلون إلى التحرر من سلطتهم بل ومن سلطة جميع الراشدين فى المجتمع، وقد يدفعهم ذلك التمرد إلى مرافقة قرناء السوء وصحبة الأشرار الذين يستغلون اندفاعهم وضيقهم بالسلطة ومحاولتهم تحقيق الاستقلال لذواتهم؛ فيدفعونهم إلى سلوكيات منوئة للمجتمع ونظامه ومثله وقيمه، وينحرفون عن الصواب والأخلاق، ويكتسبون سلوكيات قبيحة وبعيدة عن المعايير الاجتماعية والأخلاقية السليمة. وهكذا ينحرفون عن السواء ويتأثر نموهم الخلقى والاجتماعى والانفعالى تأثيرًا سيئًا وتزداد اضطراباتهم الانفعالية والنفسية.

ومن العوامل التي تعوق النمو العقلي في هذه المرحلة؛ سوء النظام التعليمي، وعدم
ملاءمة المناهج والوسائل التعليمية. والسلوكيات السيئة لبعض المدرسين، وسوء
الرعاية، وإهمال الأنشطة الطلابية مما يؤدي إلى الفشل أو التأخر الدراسي ونقص
الدافعية الذاتية للتعلم.

جـ. العوامل التى تعوق النمو السوى للإنسان فى مرحلة المراهقة المتأخرة

يكتمل النضج الفسيولوجى والجسمى فى هذه المرحلة لكن سير النمو فى مساراته السوية يمكن أن يتأثر سلبًا بعادات سلوكية للمراهقين فى هذه السن مثل: الإفراط فى السهر واللهو والتدخين مما يستنفد طاقاتهم وحيويتهم.

وبرغم استقرار النمو الإنفعالى فى هذه المرحلة ووصول الفرد إلى الثبات الانفعالى فى آخر هذه المرحلة؛ إلا أنه قد يتعرض المراهقين لبعض الاضطرابات فى الشخصية بسبب العلاقات العاطفية غير السوية، أو التسرع فى الارتباط دون دراسة لأخلاق الطرف الآخر مما قد يوقع الفرد فى مشكلات كثيرة مثل سوء استغلال الطرف الآخر أو التغير به.

وقد يقع بعض المراهقين فى حب من طرف واحد فيسيب له الشقاء الوجدانى والألم النفسى.

وقد أشارت الدراسات النفسية إلى بعض العوامل التى تعوق النمو الانفعالى للمراهقين فى هذه المرحلة كما يلى:

- عوامل تؤدى إلى إعاقه النمو الإنفعالى (دينامياتها وآثارها).

- معاملة الكبار غير الملائمة:

إن المراهق فى جزء من شخصيته طفل، وفى جزء آخر أكبر من ذلك مما يجعل الكبار متحيرين فى سلوكياته التى يكتنفها الغموض، فتختلط الأدوار عند

المراهق، ويتأثر مفهومه عن ذاته تأثيرًا سلبيًا مما يعيق نضجه النفسى وتوافقه الشخصى.

- الصدمات المتكررة:

أحيانًا يمر المراهق بخبرات معوقة للتوافق النفسى، وعندما تتكرر تلك الخبرات فى حياته فإن هذا يعوق نضجه الانفعالى فى مرحلة المراهقة المتأخرة فيتأخر استقراره الانفعالى واتزانه النفسى.

- الحرمان من العطف:

إذا حُرِم الفرد فى سن مبكرة من الحب والعطف والاهتمام، وتلك من متطلبات النضج الانفعالى والوجدانى، فإن ذلك يؤخر توازنه الانفعالى فى سن المراهقة المتأخرة.

- العيوب الجسمية:

عندما يكون الفرد مصابًا ببعض التشوهات الجسمية فإن ذلك بسبب له شعورًا بالنقص، وسوء التوافق النفسى مما يؤخر أو يعطل نضجه الانفعالى.

- الهروب من الواقع:

من المعروف عند المراهقين فى سن المراهقة المبكرة أنهم يلوذون بأحلام اليقظه هروبًا من الواقع، وأثناء تلك الفترة قد يعتمد البعض على الحيل الدفاعية النفسية مثل؛ الكبت والإسقاط، والتبرير؛ وذلك تعويضًا عن نقص الخبرة ونقص القدرة على التوافق. فإذا استمر اعتماد المراهق على هذه الحيل مدة طويلة وعجز عن التوافق الحقيقى مع نفسه ومع الآخرين، فإن ذلك يعوق نضجه الانفعالى والاجتماعى أيضًا، وقد يظل سىء التوافق خلال سنوات الشباب.

- نقص الخبرة والتدريب على مواجهة مواقف الحياة المختلفة:

ينشأ بعض المراهقين فى بيئة لا تسمح لهم بممارسة أى نشاط اجتماعى أو رياضى،

ويحرمون من المهارات الضرورية لمعالجة المواقف الحياتية اللازمة للنضج الانفعالي والاجتماعي.

- كثرة الصراعات الداخلية بلا حلول:

تتأثر شخصية الفرد سلباً عندما يمتلئ اللاوعي أو العقل الباطن بصراعات انفعالية كثيرة نتيجة للرغبات المتعارضة التي لا تجد حلولاً منطقية في الواقع، مما يؤثر سلباً على تكامل الشخصية، ويعوق النمو الانفعالي السوي.

د. مشكلات تعوق النمو السوى فى مرحلة المراهقة بوجه عام

بالإضافة إلى ما سبق ذكره على الصفحات السابقة من عوامل تعوق النمو السوى فى كل مرحلة من مراحل المراهقة؛ فإن هناك مشكلات كبرى يمكن أن يتعرض لها المراهقون وتؤثر فى مسار نموهم تأثيراً سلبياً بالغاً.

وفيما يلي إشارة لأهم هذه المشكلات:

١ - الاكتئاب: وهو اضطراب^(*) نفسى وانفعالى يمكن أن يصيب الصغار والكبار فى أى عمر، لكن المراهقين يتعرضون للإصابة به أكثر من غيرهم لأسباب عديدة يرجع أهمها للتغيرات الشديدة التى تحدث لهم فى هذه المرحلة وعدم توافر الرعاية النفسية والاجتماعية اللازمة، بالإضافة إلى وجود ظروف اجتماعية وأسرية ضاغطة، أو إصابة البعض باضطرابات عصبية أو عضوية.

وإذا كان الاكتئاب من النوع البسيط فإنه يحتاج إلى علاج نفسى فقط ويتم شفاؤه فى وقت ليس طويلاً. وإما إن كان مرتبطاً بمشكلة عضوية فإنه يحتاج إلى علاج طبي دوائى إلى جانب العلاج النفسى، ويتم الشفاء منه بفضل الله ثم بفضل العلاج المناسب فى الوقت المناسب.

(*) انظر للمؤلفة: الاكتئاب [أنواعه، أعراضه، أسبابه وطرق علاجه والوقاية منه]، القاهرة، عالم الكتب.

٢- القلق: وهو أحد الاضطرابات (*) النفسية التى تصيب الكبار بدءًا من سن المراهقة، ويظهر فى هذه المرحلة أكثر من غيرها بسبب ما يتعرض له المراهق من توتر عصبى، وكذلك الكبت الانفعالى، والخوف من المجهول. ويحتاج الأمر إلى تشخيص دقيق ثم العلاج اللازم ويشفى إن شاء الله بالعلاج النفسى، ولا يترك أثرًا إذا اتبعت التعليمات والإرشادات النفسية بدقة.

(*) انظر للمؤلفة: الخوف والقلق [التعرف على أوجه التشابه والاختلاف بينهما وعلاجهما وإجراءات الوقاية منهما]، ص ص ١٤١ - ٢٠٩، القاهرة، عالم الكتب.